

الفصل الثاني : المبحث الأول
عصر الإمارة وتأسيس الدولة الأموية في الأندلس (138-
316هـ / 755-929م)

عهد عبد الرحمن الداخل
اتصف عصر الإمارة بالحكم الوراثي لسبعة من الأمراء الأمويين، فبعد أن نجح عبد الرحمن الداخل (صقر قریش) في الدخول إلى الأندلس وتأسيس إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق وتفرغ لمواجهة الصراعات الداخلية والأخطار الخارجية التي تهدد الأندلس على الدوام⁽¹⁾

إنَّ أول عمل قام به هو المصالحة بين القبائل من خلال الأعمال المشتركة وتشجيعهم عليها لاسيما بين القبائل المتناحرة مثل اليمانية والقيسية بإعطاء قطعة أرض لكل مشروع مشترك⁽²⁾. فقد أفضل كل المخططات التي حاولت إبعاده عن السلطة، وقد وصلت إلى قتله كما حاول أبو الصباح اليحصبي بالاتفاق مع اليمانيين الذين رفضوا تنفيذ هذا المخطط، فضلاً عن سياسة عبد الرحمن الداخل الحكيمة في معالجة هذه الأمور، فلم ينتقم منه بل صبر عليه طويلاً حتى عزله، وأراد عبد الرحمن الداخل معالجة المجتمع الأندلسي بعدم التفريق بين الناس فأشرك غير العرب في الأعمال الإدارية والقضاء على زعامة القبائل وفرض سلطة الإمارة بدل من سلطة القبيلة⁽³⁾. كذلك قام بتأسيس وزارات وبناء جيش كبير وبناء أسطول بحري كبير بإنشاء خمسة موانئ على السواحل الأندلسية، فضلاً عن بناء مصنع للأسلحة في طليطلة، وتقسيم ميزانية الدولة بين الوزارات وجنّد الجنود ودوّن الدواوين، ولم يكتف بذلك بل استطاع ضبط الأمن والاستقرار في الأندلس وإنشاء جهاز الشرطة ليتولى الحفاظ على الأمن الداخلي وملاحقة العصاة، والاهتمام بالجند بتقديم ما يحتاجونه ودفع المبالغ المجزية لهم⁽⁴⁾. أهم المؤامرات والتمردات التي قضى عليها عبد الرحمن الداخل هي:

- 1- القضاء على ثورة الوالي يوسف الفهري في عام 141هـ / 758م، وثورة (هشام بن عروة الفهري) أحد زعماء القيسية في طليطلة عام (147هـ / 764م).
- 2- القضاء على تمرد (سعيد اليحصبي) الذي تعاطف معه أعداء من أهل إشبيلية في عام (148هـ / 765م).
- 3- القضاء على تمرد (غياث اللخمي) في عام (148هـ / 765م).
- 4- القضاء على تمرد (شقيقا بن عبد الواحد) الذي ادعى بأنه من سلالة الرسول (ﷺ)، وغير اسمه إلى (عبد الله بن محمد) وانضم إليه عدد كبير من المؤيدين حتى قتل من قبل أصحابه في عام (160هـ / 777م).
- 5- القضاء على تمرد (عبد الله الأسدي) في عام (149هـ / 766م).
- 6- القضاء على تمرد (أبو الصباح اليحصبي) في عام (149هـ / 766م).
- 7- القضاء على تمرد ابن أخيه (المغيرة بن الوليد) في عام (168هـ / 784م)⁽⁵⁾.

أما على الصعيد الخارجي :

(1) ابن الأثير، الحلة السيرة، ص29؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص120-124؛ نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ص53-64.. Ferrin, historia general de al-andalus, PP.234-290.

(2) الحميدي جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ج1، ص23؛ عباس، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، ص95؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص108-110.

(3) الضبي، بغية الملتبس، ص12-13؛ العتيبي، تاريخ المغرب والأندلس، ص293-303.

(4) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص160-169؛ العامري، تاريخ بلد الأندلس، ص55-66.

(5) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ج2، ص9-12؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص89-104؛ طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص150-168؛

بعدما تمكن الخليفة العباسي (أبو جعفر المنصور) من مراسلة (العلاء بن المغيث الجذامي) الذي استجاب بإعلان ثورته داخل الأندلس بعد أن تسلم السجل واللواء اللذين يمثلان الولاء للعباسيين غير أن الأمير عبد الرحمن الداخل تمكن من حصاره لمدة طويلة ثم قتله وإرسال رأس العلاء والسجل واللواء مع أحد الحجاج الأندلسيين الذي وضعها أمام أبو جعفر المنصور العباسي الذي كان في الحج في عام (146هـ / 763م). أما الخطر الخارجي الثاني فتمثل بتأمر الخليفة العباسي (المهدي) مع شارلمان ملك الفرنجة بمراسلة المعارضين لحكم الإمارة الأموية مثل حاكم (سرقسطة) وهو (سليمان الإعرابي) الذي وافق على إدخال جيش الفرنجة وأن يثوروا في وقت واحد فتتوزع جهود الأمير عبد الرحمن الداخل ويسهل القضاء عليه، إلا أن انعدام التنسيق بين أطراف هذه المؤامرة فضلاً عن وجود كبار المؤيدين للحكم الأموي بين صفوف الجيش، أدى إلى انقلاب الجيش على الفرنج فاعتقد شارلمان بأن هنالك خيانة ضده فقتل سليمان الإعرابي في عام (165هـ / 781م)، وانسحب من الأندلس بل اضطر لمهادنة الأمير عبد الرحمن الداخل لمواجهة مشكلات دولته الداخلية بعد أن ثار عليه قبائل السكسون في شمال فرنسا وألمانيا وقد تكبد مؤخرة جيشه بخسائر⁽⁶⁾. ومن أعمال عبد الرحمن الداخل العمرانية بناء سور وقنطرة عاصمة الأندلس مدينة (قرطبة)، وقام بإكمال المسجد الجامع وتوسيعه بجعله تحفة معمارية حيث لها مأذنة شاهقة، وبناء مدينة الرصافة كما هي الحال في المشرق⁽⁷⁾.

سمات عهد الأمير عبد الرحمن الداخل⁽⁸⁾:

- 1- أبعد الأندلس عن بقية الأراضي الإسلامية ولاسيما عن الخلافة العباسية .
 - 2- قيام أكثر من خمس وعشرين ثورة في مناطق عديدة ومتفرقة في الأندلس لذلك اتسم عهده بالحزم والشدّة فتمكن من القضاء عليها .
 - 3- ضياع العديد من المدن الشمالية من خلال تمكن الفرنج من إزالة سلطة المسلمين عنها في الجنوب الفرنسي والشمال الغربي في منطقة ليون .
 - 4- بناء جيش كبير ومدرّب والاهتمام بالأسطول البحري لحماية حدود الأندلس وسواحلها .
 - 5- دوّن الدواوين بعد أن استقرت السلطة المركزية بيده ورتب شؤون الدولة وقسم الأندلس إلى مناطق إدارية .
 - 6- اهتم بتطوير مدينة قرطبة ومسجدها وبنى قصراً سماه قصر الرصافة .
- فعندما نزل في قصر الرصافة من قرطبة حيث كانت فيها نخلة ذكرته بوطنه الشام فأنشد أبياتاً شعرية قال فيها⁽⁹⁾ :
- تَبَدَّتْ لَنَا وَسَطُ الرِّصَافَةِ نَخْلَةً**

تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عَنِ بَلَدِ النَّخْلِ

فَقُلْتُ شَبِيبِي فِي التَّغْرِبِ وَالنَّوَى

وَطُولُ التَّنَائِي عَنْ بَنِي وَعَنْ أَهْلِي

نَشَاتُ بِأَرْضِ أَنْتَ فِيهَا غَرِيبَةً

⁽⁶⁾ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص52-58؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص99-108، مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص30-31 .

⁽⁷⁾ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص166؛ الحجّي، التاريخ الأندلسي، ص258.

⁽⁸⁾ ابن خلدون، العبر، ج4، ص120-123؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص97-108؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص106-125 .

⁽⁹⁾ الضبي، بغية الملتبس، ص13؛ المراكشي، المعجب، ص16؛ ابن الخطيب الغرناطي أعمال الأعلام، ج2، ص11 و12؛ العتبي، تاريخ المغرب والأندلس، ص309-110؛ بهجت، منجد مصطفى ن الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، الطبعة الثالثة، مؤسسة السياب، لندن، 2012م، ص56 .

فمَنَّاكَ فِي الْإِقْصَاءِ وَالْمُنْتَأَى مَثَلِي

كَذَلِكَ يَقُولُ :
إِنْ جَسَمِي كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْضِ

وَفُؤَادِي وَمَالِكِيهِ بِأَرْضِ